

الزمن لا يغير أحد



نعمل في مكتب لتقديم الإستشارة والمساندة القانونية المجانية.. وفي يوم زارتنا سيدة في عباءة سوداء.. ضخمة الحجم طويلة وعريضة المنكبين.. وجهها أسود قبيح مخيف.. تشبه الرجال أكثر من النساء.. بدأ المحامون الرجال التسلل للخارج تجنباً لإستقبال شكوتها.. ومنهم من تصنع الإنشغال.. حتى لم يتبقى غيري لإستقبالها.. قد كنت قلقة في البداية من شكلها وكنت أتجنب النظر على قدر الإمكان وأحاول ألا أضحك على تعليقات زملائي المتخفية حتى لا أظهر العمل بشكل غير لائق.. حتى بدأت التحدث وهي مبتسمة ابتسامة قبيحة جداً.. وهذه هي حكايتها.. قالت: أنا سيدة لم أكن موفقة في الزواج طوال حياتي لنفور الرجال مني حتى وصلت لأربعين عام وأنا عذراء.. لم يطرق بابي رجل واحد.. ولم أكن أخشى إلا أن أموت وحيدة.. وكنت أتمنى أن يرزقني الله أطفالاً أحبهم وأرعاهم.. ولكن لم يشأ الله لي ذلك.. حتى جاءني جرتي تعرض علي الزواج من مقاول يسكن بجوارنا.. أرملة ولديه أربعة أطفال.. بشرط أن أوافق على خدمتهم وألا يكون لي أية طلبات كزوجة.. أكون فقط خادمة.. ووافقت.. فهذه أول مرة يطلبني أحدهم.. وتزوجت.. وكنت ألاقي نفور من جميع الناس بما فيهم زوجي كما وجدت منكم هنا.. ومرت السنوات وأنا أرى أولاده كأبنائهم وأنا أبنائي وغمرتهم بحبي وحناني حتى أصبحت لهم أما يحبونها ويفقدونها.. ورزق الله زوجي رزقاً واسعاً.. وأحبني كما أحبني أولاده.. وبدأ يعاملني كزوجة أخيراً بعد عدة سنوات وودعت

العذرية.. أنا هنا لأن زوجي توفاه الله منذ عدة أيام وفوجئت بأنه كتب لي من أملاكه عدد من العقارات التي تقدر بالملايين.. ولم يعترض أولاده أبداً ولكنني أريد أن أعيد إليهم كل ما كتب لي.. وأريدكم أن ترشدوني لاتخاذ الإجراءات اللازمة. ثم أخرجت لي الأوراق والعقود التي تثبت صحة كلامها!! وتعجبت كيف لشخص أن يرفض كل هذه الملايين بعيداً بجرة قلم؟؟.. فسألته وأنا أشعر بالخجل من نفسي وقد شعرت أنني أحبها الآن فإبتسامتها زادت جمالاً: ألا تودين الإحتفاظ بأي شيء.. عقار واحد على الأقل لو مرضت أو لو قسي عليك أولاده أو الزمن؟ قالت: لا أريد أن أنقل كل شيء فهذه في النهاية أموالهم وليس لي حق في شيء.. وأنا يكفيني حبه فهذا هو كل الرزق الذي أتمناه.. الذي رزقني الحب بعد مرارة المنع سيرزقني الستر في زمن الغدر. قمت باتخاذ الإجراءات القانونية وتم نقل الأملاك إليهم بالفعل.. دون أن يبقى لها شيء على الإطلاق. كنت أفعل وأنا في حيرة على حالنا..

نعيب في الناس والعيب فينا..

حتى أهملنا من نحن من الداخل.. قد يكون خارجها قبيح ولكنه ليس أكثر قبحاً من حكمنا عليها.. فكم من لآلئ مدفونة في بيوت مهجورة ونحن لا نعلم.. هذه حكاية قناعة وحب ورضي..

هذا هو قلب سيدة ظلمنا أنفسنا بحكمنا على مظهرها.. ودفعت هي حياتها عطاءً رغم الرفض والقسوة.. وتنهيها عطاء رغم ما في الدنيا من غدر. لك سيدتي مني إعتذار على قسوتنا جميعاً.. على كبر أعمى أعيننا عن ما فيك من جمال وحب فقدته كثير منا.